اسحق شيلاف ، تحت شجرة التوت
(تل ابيب ، لفين افتستين).

كاتب هذه الرواية هو أصلا شاعر ، يجرب من حين لاخر حظه في الكتابة النثرية . ومن الجدير بالذكر انه من أعضاء « حركة اسرائيل الكاملة » العنصرية الصهيونية ، ويعمل مدرسا . والنثر عند اسحق شيلاف ، كما تجلى من القصص الثلاث التي نشرها حتى الان ، يتميز بالطبيعة ، والبطولة وقسوة القدر . والطبيعة عنده هي طبيعة فلسطين في فترة الانتداب البريطاني ، جو تبادل طلقات الرصاص ، والاحداث الدموية بين اليهود والعرب وجو الحركات الارهابية السرية الصهيونية في فلسطين بشتى انتماءاتها . والبطل عنده شاب ، في فترات مختلفة من حياته ، في محطات مختلفة في طريقه نحو نفسه ، فتى حساس ، يمكن ان يكون في شاعريته انعكاسا لمبدعه . وقسوة القدر تتجلى دائما عنده في الموت ، موت المحبين والاعزاء ، الاعزاء والمقربين . وكما حدث في قضية جبرئيل تيروش(روايته الاولى) حيث ماتت اية — فان شيلاف يستجلب الموت كذلك لمرفه ، الشخصية النسائية الرئيسية في روايته الجديدة « تحت شجرة التوت » ، وكذلك لهامبور، الصديق المخلص للفتى الشاعر ، والضلع الثالث لمثلث الابطال الذي يرتكز عليه بناء الرواية كلها .

ان الموت هو حل القاص لعقد الحياة التي يخلقها. وفي حالة عدم وجود حل احسن يقوم بارسال أبطاله الى الموت ، كل شخص وفق طريقته الخاصة ، وكل شخص في حينه (أو في غير أوانه احيانا) . وهو بهذه الطريقة يترك القارىء فزعا في مواجهة قسوة القدر وازاء عجز القاص عن ان يدفع أبطاله في طرق اخرى ، ربما كانت تحتاج الى جهد أكبر ، ولكن منطقها يكون اوضح ويكون اقترابها من الواقع ملموسا ومقبولا اكثر . ولكن اسحق شيلاف يصر دائما على اتباع طريقة المبالغة في ردود فعل شخصياته على امتداد الرواية كلها .

و « تحت شجرة التوت » هي قصة بلوغ وخروج فتى مريض ، يعتبر المرض من العلل الوراثية في عائلته التي تصر على ان يكون لها من حين لاخر ضحية من بين اعضاء الاسرة ، اذ توفيت اخته في البداية ، وبعد ذلك والده . والى جانب بطل القصة تظهر شخصيتان تمثلان بالنسبة له علامات الطريق الاولى نحو تجاوزه فترة الارتباط الى البلوغ والحرية . وهاتان الشخصيتان هما مرفه وهامبور . والاولى امرأة شابة ، أم لطفلين ، تحمل في قلبها جرحين لم يندملا هما مقتل أبيها على يد العرب ، وعملية اغتصاب حدثت معها وهي في السادسة عشرة من عمرها ، على يد شابين من العرب من الرعاة . وقد ولد فيها هذان الجرحان كراهية لا حد لها تجاه العرب وزرعا في شخصيتها كذلك بذور المرارة والعنف . وعند التقائها بالشاب الشاعر، وهي ما زالت بعد تنعم بالحياة في أحضان اسرتها كانت ما زالت علائم العنف واضحة فيها وكانت توجه طريقها في البداية نحو احضان الفتى الشاعر واخيرا الى اغتيال حياتها بالغرق في بحيرة طبرية . والثاني — هامبور — هو شخصية مختلفة تماما . انه انسان في احسن سنواته ، متعلق بحياة البلاد ، ويعرف كنهها وطبيعة سكانها، ويستمتع بحياته ، ويقوم بفلاحة ارضه . وهو — صديق الاب ، الذي كان أيضا صديقا ومعلما للابن — يوجه الفتى الى طريق ميول قلبه . وتحت خشونته وفظاظته تخفى نفس حساسة ، ومحبة للجمال ، وحكمة الحياة العميقة . ولدى كشفه لنفسه للفتى ، يكتسب الفتى بذلك بعدا جديدا ، هو بعد التأمل ، وامكانية حساب النفس ، والتخلص من العمى . وموت هامبور في سريره ، ذلك الموت المفاجىء ، هو نهاية جازمة للحياة المليئة لانسان كان يعرف كيف يستمتع بحياته .

وعلى هذه القواعد الثلاث الصلبة ، التي هي أساس قوي لقصة كبيرة، بنى شيلاف حبكة قصصية هزيلة ، ترتكز على الطبقة العليا ، وليس على العمق . ان دوافع البطل الشاب ، الذي ينفر من المهن الدقيقة ويشتاق الى العلوم الانسانية ، هي دوافع واضحة ومفسرة . كذلك فان علاقاته مع صديقه في الحجرة ، والذي يشكل تناقضا شبه كامل بالنسبة له ، قد جاءت من اجل الاستنفاد الفني . ولكن قضية علاقاته مع مرفه والعاصفة التي جاءت في أعقابها وجرفته الى اثبات رجولته على عذرية كل من نورة وسارة — كل هذه القضايا محاكة بخيوط بيضاء ولم يتم استنفادها للنهاية .

ويمكن الافتراض بأن مرفه ، تلك الانسانة المنسحقة